جامعة الانبار

كلية التربية للعلوم الإنسانية

القسم العلمي: اللغة العربية

المرحلة الدراسية: الثانية

المادة: الأدب الإسلامي

- إن الأحداث التي تلت وفاة الرسول الأعظم (ﷺ) كان من شانها ان تطور الخطابة فما هي مجالات تطورها وتعبيرها عن المواقف المستجدة؟

ج: **١-خطبة البيعة والخلافة والولاية**: أولها في سقيفة بني ساعدة عندما وقف خطيب كل جماعة ترشح صاحبها للخلافة ليقنع الحاضرين. حتى إذا انتهى الأمر بخلافة أبي بكر خطب في الناس بعد أن حمد الله: (أيها الناس إني قد وليت عليكم، ولست بخيركم فان رأيتموني على حق فأعينوني وإن رأيتموني على باطل فسددوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم، ألا أن أقواكم عندي ضعيف حتى أخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم)، ويلاحظ على هذه الخطبة قصرها وبلاغتها وتواصلها مع الروح الإسلامية وتعاليم الدين الحنيف، وأصبحت هذه الخطبة فيما بعد من مراسيم الخلافة وتستمر خطب البيعة في العصر الأموي، وقال الجاحظ: (كان أبو بكر خطيبا وكان عمر خطيباً، وكان عثمان خطيباً، وكان علي أخطبهم، وكان من الخطباء معاوية، ويزيد، وعبد الملك، ومعاوية بن يزيد، ومروان ، وسليمان، ويزيد بن الوليد، والوليد بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز)، ولكن الخطبة اتخذت طابعاً آخر عن خطب الخلفاء الراشدين لاختلاف ظروف البيعة إذا أصبحت الخلافة وراثية، إلا ما وجدناه في خطبة عمر بن العزيز لما عرف به من التقوى وذلك لما دفن سليمان بن عبد الملك قال: (أيها الناس أني قد ابتليت بهذا الأمر على غير رأي كان مني ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين واني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم. فصاح الناس صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك).

وتضاف إلى خطبة البيعة خطب الولاية فيجمع الوالي قومه ليبين لهم نهجه، وتتسم هذه الخطب بالصراحة وحسب الظروف. أو اللجوء إلى التهديد والوعيد مثل خطبة الحجاج في ولايته للعراق.

وتدخل في هذا الباب الوصايا التي يوصي بها الخلفاء عمالهم بما يجب عمله من نشر العدل. ثم أصبح من واجب القائد في الفتوحات أن يلهب حماس الناس للانضمام إلى الجيش الفاتح.

٢-خطب الحوادث: ومن أهم الأحداث (الردة) فإن طبيعة الأحداث تقتضي قيام خطباء من الفريقين. من المسلمين وقادتهم يحثون الجيش على الجهاد في سبيل الله وخطباء من المرتدين يسوغون لقومهم سبب خروجهم على الدولة الإسلامية. فإن بني تميم حين ارتدت عن الإسلام حاول احد حكمائها وهو أكثم بن صفي أن ينصح قومه فخطب فيهم خطبة طويلة بأن يعودوا إلى الإسلام لأن فيه صلاحهم فقال مالك قد خرف شيخكم فقال أكثم: ويل للشجي من الخلي فسار مثلا بين الناس. ويذكر الطبري في حوادث ردة بني تميم أن أحد قادتهم وهو مالك بن نويرة كان قد دعا قومه إلى الردة، وحاول أن يتراجع عن العصيان وأن يبين لهم بأنهم لا طاقة لهم بحرب المسلمين وجيوشهم فقال: (يا بني يربوع أنا قد كنا عصينا أمراءنا إذ دعونا إلى هذا الدين وبطأنا الناس عنه فلم نفلح، ولم ننجح، وإني قد نظرت في هذا الأمر فوجدت الأمر يتأتى لهم بغير سياسة وإذ الأمر لا يسوسه الناس فأياكم ومناواة قوم صنع لهم فتفرقوا إلى دياركم وادخلوا في هذا الأمر فتفرقوا). وحين توالت الأحداث أيام الخلفاء الراشدين كانت الخطابة تواكب الأحداث وتثير الهمم لاستكمال المسيرة ونشر العدالة تحت راية الجهاد والإسلام فقد خطب علي (ﷺ) يوما في جيشه فقال: (إن الله تعالى ذكره قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب وتشفي بكم على الخير، إيمان بالله ورسوله، وجهاد في سبيله، وجعل ثوابه مغفرة الذنوب ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر، وأخبركم بالذي يحب فقال: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدراع).

٣-خطب الثورات السياسية: وتستمر الخطابة مواكبة – الأحداث السياسية في العصر الأموي وتكون وسيلة بيد الخليفة الأول معاوية حيث غير نظام الحكم وجعله وراثيا وأوعز إلى نفر من الخطباء ليقوموا في مجلسه ويخطبوا في الناس وكأنهم يقترحون عليه تسمية الخليفة من بعده ويقترحون أيضاً أن يكون ابنه يزيدا لئلا يبقى الناس بعده في فتنة وقد ذكر الجاحظ ان الناس لما اجتمعوا قام الخطباء لبيعة يزيد واظهر قوم الكراهة فقام رجل من عذرة يقال له يزيد بن المقفع فاخترط سيفه ثم قال: أمير المؤمنين هذا وأشار بيده إلى معاوية فان مات فهذا وأشار بيده إلى يزيد فمن أبى فهذا وأشار بيده إلى السيف. فقال له معاوية أنت سيد الخطباء. وعبارة معاوية تدل على كثرة الخطباء. وتسجل كتب التاريخ خطابا أخرى تمثل الأحداث السياسية في العصر الأموي ابتداء بثورة الحسين بن علي ثم ثورات الخوارج والزبيرين ثم حركة التوابين، ونستجلي من هذه الخطب

الاتجاهات السياسية الممزوجة غالبا بالدين عند كل خطباء الفرق الإسلامية. ونستطيع أن نلمس الخطابة العربية في هذا العصر من خلال قراءتنا لنماذج منها أوردها الجاحظ في البيان والتبيين وعدها من النصوص الجيدة الرائعة من كلام العرب واجتهد في انتقائها وأحسن اختيارها مما مكن كتابه ليكون بحق وسيلة لتعلم البيان العربي من خلال نصوصه الجميلة الرائعة.

٤-خطب الوفود: ونجد ذلك واضحا فيما بعد العصر الإسلامي حين كانت وفود القبائل تقدم على الرسول (ﷺ) ويخطب خطباؤها، وينتدب الرسول (ﷺ) وأصحابه من يخطب أمام رجال الوفد مبينا مبادئ الدعوة الإسلامية. رادا على فخر رئيس الوفد في حالة عدم إسلامه أو قبل إعلان الوفد الإسلام كما هو مشهور عن خطبة تميم حين وفدوا على النبي (ﷺ) وطلبوا من الرسول (ﷺ) أن ينادي خطيبه ليخطب بينهم وشاعره لينشدهم شعرا، وكان خطيب وفدهم عطارد بن حاجب بن زارة الذي افتخر بقومه وإنهم أكثر الناس عدداً وأحسنهم وجوهاً، وأن منهم رؤوس الناس وأشرفها، وأن من يفاخرهم عليه أن يعدد مثل ما ذكروا من المفاخر.. ولكن خطيب المسلمين لم يفاخر بني تميم بمفاخر الجاهلية وإنما كانت خطبته منسجمة مع الدعوة الإسلامية إذ أنه حمد الله الذي خلق السموات والأرض وقضى فيهن أمره، وانه قد اختار من خيرة خلقه رسولا اصطفاه على العالمين، ثم ذكر كيف استجاب المهاجرون لدعوة الرسول (ﷺ) .... وهكذا تستغل الخطابة لتخرج من النطاق القبلي إلى الدعوة الإنسانية.

وذكرت الروايات وفود بعض القبائل على الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وفدوا لبيان حالهم وطلب العطاء من بيت المال. ومثل هذه المطالب وردت على لسان خطب من القبائل الوافدة على معاوية. وابتدعت عادة في العصر الأموي بعد وفات معاوية؛ وذلك أن تقدم الوفود على الخليفة فتعزي بموت الخليفة السابق وتهنأ الخليفة الجديد. ومن هنا فقد اختلفت المعاني والأفكار التي ذكرها خطباء الوفود حسب الغرض الذي وفدوا من أجله فكان منهم خطب داعية للدين الإسلامي، وأخرى للتهنئة أو التعزية ، وأخرى لبيان موقف سياسي أو لمطالبه بالعطاء.

٥-الخطب الوعظية والوصايا: تندرج كثير من الخطب الرسول (ﷺ) وأصحابه ضمن الخطب الوعظية إذا كانت في موعظة الناس وضرب الأمثال للعبرة وتذكر الدنيا الفانية. ومع تنوع الخطب في عصر الخلفاء الراشدين فان هناك خطبا قائمة على المواعظة المباشرة، وقد كثرت هذه المواقف الوعظية في خطب الإمام علي. وخطب بعض الخلفاء الأمويين خطبا وعظية. فقد خطب سليمان بن عبد الملك: (الحمد لله ما شاء

صنع، وما شاء منع، وما شاء رفع. أيها الناس إن الدنيا دار غرور وباطل، وزينة وتقلب بأهلها، تضحك باكيها وتبكي ضاحكها وتخيف آمنها، وتؤمن من خافها وتثري فقيرها وتفقر مثريها، ميالة بأهلها عباد الله اتخذوا كتاب الله إماماً وارضوا به حكما). وعرف الخليفة عمر بن عبد العزيز بسيرة متفردة إذ كان تقيا ورعا زاهدا لذلك كانت خطبة قائمة على الموعظة....) وقد كان لخطب الحسن البصري تأثيرها الكبيرة في نفوس السامعين.

أما الوصايا فهي خطب أيضاً، ولكن ميدانها محدد لان الخطيب يوصي من يخاطبهم بجملة مبادئ أو قضايا ويطالب منهم الالتزام بها. فهناك وصايا الحرب من ذلك وصية أبي بكر لأول إمارة جيش عقدها، وهي إمارة جيش أسامة بن زيد: (أيها الناس: قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيراً إلا لمأكلة.... اندفعوا باسم الله).

وهناك وصايا الآباء والأمهات في الحرب مثل وصية أسماء لابنها عبد الله بن الزبير حين غلب على أمره في مكة. أما وصايا الخلفاء لمن بعدهم فقد اختلفت باختلاف شخصياتهم فالخليفة أبو بكر في وصيته لعمر بن الخطاب اكتفى بتوصيته بتقوى الله والعمل في سبيل رضاه، وأن لا يتمنى على الله غير الحق، وأن لا يكون غير الحق، وأن لا يكون غائب أحب إليه من الموت).

– ماهي السمات الفنية للخطابة في العصر الاسلامي ؟

ج: نجد اولا التزام جميع الخطباء بالبساطة التي تعقبها مقدمة الحمد والشكر لله ودعوة الناس الى التقوى وذكر الله. لذلك وجدناهم يسمون الخطبة التي لم توشح بالقران وتزين بالصلاة على النبي (ﷺ) بالشوهاء كما يذكر الجاحظ في البيان. وسميت خطبة زياد ابن ابيه البتراء لانه لم يبدا بالتمجيد ولم يستفتحها بالتحميد ويذكر الجاحظ انهم كانوا يستحسنون ان يكون في الخطب يوم الحفل وفي الظلام يوم الجمع اي من الفرقان فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والخطيب البليغ يعمد الى القران ليزين به كلامه. وقد اتخذ الخطباء من مقدمات خطب الرسول (ﷺ) امثلة ونماذج يفتتحون بها خطبهم . ان تطور الخطابة في العصر الاسلامي وخوضها اهم ميادين الحياة جعل اصولها ومراسيمها مستقرة، فكانت الخطابة نتاجا فكريا غزيرا. ومن السمات السجع أو الصنعة الفنية يأتي بشكل انسيابي غير متصنع ولجوء الخطباء الى العبارات القصيرة

التي تجعل الخطيب ممسكا بذاكرة المستمع وانتباهه وعواطفه مع جمعهم بين التخييل والتصوير. وكذلك استقرت اصول وقوف الخطيب وافتتاحه وطريقة التحميد .